مناقشات وردود

عودة الى مسألة
الاهتمام بالرأي العام العالمي

فيما يلي رد علاء الدين السامرائي وعبد الجبار علوان على مناقشة محمد ابو طربوش لهما حول رايهما بمسالة الاهتمام بالراي العام العالمي ، وغني عن القول ان هذه المناقشة ، التي تتصارع فيها وجهات نظر مختلفة ، هي مفتوحة لمشاركة الجميع .

« الهدف »

نشرت « الهدف » في عددها ٨٥ بتاريخ ٢٠/١/١٩٧١ كلمة بقلم السيد محمد ابو طربوش بصفة « رد » على مقالة لنا بعنوان « ملاحظات حول قضية الاهتمام بالراي العام العالمي» كانت قد نشرت في « الهدف » (عدد ٨٢ بتاريخ ٩/١/١٩٧١) .

اننا لا نريد الآن ان نرد على كلمة ابي طربوش نقطة فنقطة لان ذلك سيجعل من الضروري اعادة نشر مقالتنا الاولى برمتها . ولهذا فاننا نكتفي بما يلي :

١ ■ لقد لجأ ابو طربوش الى التحريف لما فقناه او الاقتباس المشوه والمبتور لعبارات جاءت في مقالتنا ليبرز نهجه الذي لا مبرر له علينا، وسنكتفي بتقديم بعض الامثلة على ذلك :

ا ـ جاء في مقالتنا ان الرأي العام العدو « يتكون بصورة عامة من الحكومات الاستعمارية والطبقات الرجعية والانظمة العميلة » . وبعد ان يقتبس ابو طربوش هذه العبارة الواضحة والمحددة يقول : « ليس من الواضح ما هو المقصود هنا ، فهل المقصود هو ان الحكومات الرجعية هي جزء عضوي من الشعب ؟ وهل هذا يعني ان حكومة هيلا سلاسي الرجعية مثلا هي جزء لا يتجزأ من الشعب الاثيوبي !! » وجوابنا على ذلك هو اننا لا نفهم ما هو وجه الصعوبة في فهم عبارتنا فلنوما هو وجه الغموض فيها ؟ وكيف من الممكن وضعها بشكل اكثر وضوحا، وكيف وصل ابوطربوش الى استنتاجه من ان عبرها الرأي العام العدو قد عدل على اننا نعتبر حكومة هيلا سلاسي كجزء لا يتجزأ من الشعب الاثيوبي ، وما تعريف ابي طربوش للرأي العام العدو ؟

ب ـ يقتبس ابو طربوش جزء من مقطع مقالتنا ينتقد فيه الخط الاعلامي لمكاتب الدعاية للدول العربية التي كثيرا ما تحاول اسداء «النصائح» للاستعمار الامريكي كما وتحاول هذه المكاتب « اقناع » الولايات المتحدة ان تقف الى جانب العرب لانها تعرض المصالح الاقتصادية الاستعمارية في الشرق الاوسط للخطر ! كما وانتقدنا بعض الناطقين الرسميين العرب لمحاولتهم استغلال العداء للشيوعية في امريكا ، وبعد ذلك قلنا ان ذلك الخط « يمثل الخط السياسي الرجعي الانتهازي للانظمة العربية » وبعد ان يقتبس ابو طربوش كل هذه المقاطع وضمنها الجملة الاخيرة حول « الخط السياسي الرجعي الانتهازي للانظمة العربية » يسأل مرة اخرى عن المعنى المقصود وبهمنا عدم الفرق بين وسائل اعلام السفارات العربية واعلام حركات المقاومة وبذكر بالخصوص « عمليات خطف الطائرات » التي يعتبر ابو طربوش ان احد اهدافها الهدف الاعلامي . لا نعلم لماذا توصل الكاتب الى مثل هذه الاستنتاجات ، وما هي العلاقة بين انتقاد « الخط السياسي الرجعي الانتهازي للانظمة العربية » وبين العمليات الثورية المسلحة كالاستيلاء على طائرات العدو الامبريالي وتحطيمها؟ هذا مع العلم بان التركيز في مقالتنا كان على عدم جدوى المناقشات والشرح والمقابلات بالنسبة للرأي العام العدو . اما عمليات الاستيلاء على طائرات العدو فهي في راينا تطبيق خلاق لقاعدة ضرب العدو في اضعف مواقعه .

جـ ـ جاء في مقالتنا ما يلي : « ... ان الصهيونية تشجع اهتمام العرب جميعا بقضية الراي العام العالمي حيث ان ذلك سيكبل حرية العمل ضد العدو حيث ان كل عمل سيخضع لحسابات تاثيره على « الراي العام العالمي » بدلا من قياسه بالنسبة (للضرر) الذي يسببه للعدو » . (لقد سقطت كلمة « للضرر » سهوا ولكن المعنى واضح) . يقتبس ابو طربوش المقطع الاول وهو « ان الصهيونية تشجع اهتمام العرب جميعا بقضية الراي العام العالمي حيث ان ذلك سيكبل حرية العمل ضد العدو » . ويقف عند هذا الحد بدلا من الاستمرار في الاقتباس ، ثم يتساءل عن « المقصود » من هذا ويفسره بانه تعني : « ان العرب لا يمتلكون الا موارد محدودة جدا وشكل بعضهم من استغلالها في مشاريع متعددة ... » ان مثل هذا الاقتباس المشوه لا يمكن ان يكون الا متعمدا ، وبعد كل هذا اللف والدوران يخبرنا ابو طربوش بان « العالم العربي لا يفتقر الى الموارد ولكنه... يفتقر الى العقول القادرة على توزيع هذه الثروات والموارد في الطرق الصحيحة التي تضر الهائلة على الشعب بالنعمة » . وهكذا فان مشاكل العالم العربي ليست بسبب الامبريالية وخاصة الامريكية ، التي تنهب ثروات العالم العربي وتسلط عليه انظمة عميلة وتساند اشرس القوى الرجعية ، بل هي مسالة « الافتقار الى عقول قادرة . »

٢ ■ وردت في مقالة ابي طربوش بعض المفاهيم والدعوات التي لا يمكن السكوت عنها بتاتا والتي من الضروري شجبها بكل قوة وبشكل واضح ، حيث ان هذه المفاهيم تحتوي على تهويل بقوة الاستعمار الامريكي ووصفها وكانها كقوة لا يمكن دحرها .

ا ـ في معرض « رده » على رايانا القائل بعدم امكانية التاثير على سياسة الدول الاستعمارية « عن طريق الجدل والمناقشات او محاولة اثبات الرحمة والشفقة ، الى اخر ذلك من المحاولات العقيمة والمذلة » ، يتعجب ابو طربوش بـ « واعلميناه !! » ثم يتساءل : « كيف اذن يمكن تغيير سياسة الدول الاستعمارية (او حتى جهاز الدولة نفسه) سوى عن طريق خلق التناقضات داخل المجتمع الاستعماري نفسه ؟ » ثم يسالنا « هل المقصود انه بامكان الحركات التحررية ان تتغلب عسكريا على الدولة الاستعمارية وتجبرها على تغيير سياستها ؟! » وجواب ابو طربوش على سؤاله نفسه « طبعا الجواب ... هو جواب سلبي » . وفي الوقت نفسه يتحفنا الكاتب بالمعلومات التالية فيقول « ان تكاليف الحرب الفيتنامية تعادل اقل من ١ ٪ من الدخل القومي (عدديا) ... » ويذكرنا الكاتب اربع مرات بان الحرب الفيتنامية لا تكون اي عبء يذكر على اقتصاد الولايات المتحدة !!

ان هذا الادعاء القائل بان الحرب الفيتنامية لا تكلف الاقتصاد الامريكي اكثر من ١ ٪ من الدخل القومي ما هو الا ادعاء كاذب تروج له الطبقة الحاكمة الامريكية و « خبراؤها » وصحفها لتبرير استمرارها في هذه الحرب الاجرامية ولاقناع الشعب الامريكي بان الارتباط الاقتصادي في الولايات المتحدة لا علاقة له بتلك الحرب..

ان الكلام عن ان تكاليف الحرب لا تزيد على هذه النسبة الضئيلة من الدخل القومي الامريكي يتجاهل المضاعفات الاقتصادية والاجتماعية التي بدات تهز الكيان الاقتصادي والاجتماعي الامريكي ـ بالضبط نتائج هذه الحرب الفيتنامية . ان هذا الارتباط الاقتصادي والاجتماعي في امريكا يشمل اختلال ميزان المدفوعات ، التضخم المالي (ارتفاع الاسعار) المستمر والمقترن بتفيقموهو تفشي البطالة مما حير « خبراء » الاقتصاد البرجوازيين ! هذا بالاضافة الى انتشار الاضرابات العمالية على نطاق واسع . ومن جملة الازمة الاقتصادية والاجتماعية ازدياد الجرائم التي تكلف الاقتصاد الامريكي مبالغ تعد بعشرات المليارات من الدولارات . اما تاثير الحرب على الشباب الامريكي بصورة خاصة فيتخذ الشكل الايجابي المتمثل بمعارضة الحرب والشكل السلبي المتمثل بانتشار التدهور المعنوي . ان هذه الصعوبات الاجتماعية تكبد الاقتصاد الامريكي خسائر جسيمة جدا . ولقد ادرك هذه الحقائق حتى بعض السياسيين البرجوازيين الاستعماريين في الولايات المتحدة كالسناتور جورج ماكوفرن والسناتور فولبرايت وغيرهما. فقد ذكر السناتور جورج ماكوفرن في كلمة له في مجلس الشيوخ الامريكي ان من نتائج الحرب الفيتنامية «التضخم المالي في الاقتصاد الامريكي ، والتفكك في المجتمع الامريكي ، وتفاقم الشعور بخيبة الامل عند الشعب الامريكي وخاصة بين الشباب ، ما دامت هذه الحرب مستمرة » (محاضر مجلس الكونغرس، مجلد ١١٦ ، عدد ١٨٧ في ١٩٧٠/١١/٢٣ ص ١٨٦٦٣) . ويسطرد هذا السناتور في القول « ان هذه الحرب ستبقى لعنة وبلاء علينا وسنعرقل كل ما نحاول ان نعمله كامة ، الى ان نضع نهاية لها » . (نفس المصدر، ص ١٨٦٦٤) ثم يقول هذا السناتور ان نبقى ـ بدلا من انهاء الحرب الفيتنامية « فانه يقدم لنا ... المزيد من التحطيم للاقتصاد الامريكي وللمجتمع الامريكي . » ويعترف كذلك ابغريل هاريمان (رئيس وفد المفاوضة الامريكي السابق في مباحثات باريس) كما يلي : « انني اعتقد ان الاستياء بين الطلاب والهوة بين الاجيال (اي الشباب والكهول) يتسعان نتيجة لخيبة الامل فيما يتعلق بفيتنام ... ان مأساة الانقسام في بلدنا ، ومأساة تحول مواردنا (نحو الحرب) والتي يجب صرفها على احتياجاتنا الملحة الكثيرة في هذا البلد ، يجب ان تنتهي » . (نفس المصدر ، ص ١٨٦٧٢) . هذا هو حكم بعض شيوخ الاستعمار الامريكي الفيودين جدا على مصالح الرأسمالية والاستعمار. فهل يعتقد ابوطربوش ان معارضة امثال السناتور ماكوفرن والسفير ابغريل هاريمان ، وغيرهما ، للحرب كانت عن اقتناع بعدالة الثورة الفيتنامية، او نتيجة « تثوير قطاع مهم » في المجتمع الامريكي كما يدعي ابو طربوش ؟ كلا ، ان معارضتهم للحرب ليست الا من خوفهم من « المزيد من التخطيم للاقتصاد الامريكي وللمجتمع الامريكي »

ب ـ في الوقت الذي يخبرنا ابو طربوش ان الولايات المتحدة ليس بامكانها ان تربح الحرب ضد الشعب الفيتنامي ، فانه يؤكد مع ذلك « ولكن في نفس الوقت يجب التنبيه الى انه باستطاعة امريكا الا تخسر هذه الحرب » وذلك لان الحرب « لا تكون اي عبء يذكر على اقتصاد الولايات المتحدة » وكذلك لانه « ليس بامكان الثورة الفيتنامية ان تربح الحرب عسكريا (بالمعنى الكلاسيكي) . »

لقد بينا اعلاه بطلان المزاعم حول العبء الاقتصادي للحرب الفيتنامية على لسان اساطين الاستعمار انفسهم . اما عن قضية استحالة ربح امريكا للحرب فهذا يعترف به الاستعماريون انفسهم . ولنعود الى ما قاله ابغريل هاريمان :

« ان اهدافنا السياسية في فيتنام لا يمكن تحقيقها بالطرق العسكرية. فباستطاعتنا ان نوسع الحرب لتشمل كامبوديا ولاوس وفيتنام الشمالية وبعد ذلك الصين وحتى الاتحاد السوفياتي ولكن هذه الحرب لا يمكن ان تربح ، وهذا ليس لقصور من الولايات المتحدة بل انه من طبيعة المشكلة الموجودة هناك . » ثم يستمر هاريمان في القول: « يظهر ان هنالك فكرة بان الضربات العسكرية ستزعم الطرف الاخر على المفاوضات حسب شروطنا . ان جميع تجاربنا الماضية في فيتنام تظهر ان هذا ضرب من الخيال» . (نفس المصدر، ص ١٨٦٧١) . هذه هي الاعترافات التي تتردد في قاعات شيوخ الامبريالية الامريكية وهي اعترافات بالانتصارات الرائعة لشعب فيتنام ولثورته ، ولكن ابا طربوش يطلع علينا بمقولة ان « ليس بامكان الثورة الفيتنامية ان تربح الخ ... »

جـ ـ وبعد ان ينفي ابو طربوش امكانية دحر الولايات المتحدة من قبل الثورة الفيتنامية يحاول ان يفسر ذلك ، فيدخل في حديث مطول حول امتلاك بعض الدول للاسلحة النووية فيقول ان ذلك « ادى الى استحالة تغيير الانظمة القائمة في هذه الدول عن طريق استعمال القوة... »

ثم يخبرنا انه « لا يوجد عند اي دولة القوة العسكرية التي تتمكن عن طريقها من اسقاط الحكم الرأسمالي في الولايات المتحدة ... وذلك لان مثل هذه العملية ستكون عملية انتحارية ... » هذا هو « تفسير » ابو طربوش لعدم امكانية الثورات من تحقيق دحر الاستعمار!! ولكن يا ترى ما علاقة الحروب الشعبية بالهجوم الذري على الولايات المتحدة ؟ ومن قال ان انتصار الثورة الفيتنامية او الفلسطينية او اي ثورة اخرى يعتمد على اسقاط النظام الرأسمالي في امريكا وباستعمال الاسلحة النووية ؟

لقد انتصرت الثورة الصينية المجيدة في « العصر الذري » ولا تزال الرأسمالية قائمة في امريكا ، وكذلك انتصرت ثورة كوبا على بعد تسعين ميلا من الولايات المتحدة ، وقد انتصرت الثورة الفيتنامية وطردت الاستعمار الفرنسي ولا تزال الرأسمالية الفرنسية قائمة ، وانتصرت كوريا الديمقراطية الشعبية بمؤازرة الشعب الصيني على الغزو الامريكي . وفي هذا الوقت وعند كتابة هذه السطور تكيل شعوب الهند الصينية الضربات الملاحقة للمعتدين الامريكيين وشراذم المرتزقة ، وتتساقط الطائرات تساقط الذباب في لاوس

وبعد كل ذلك يطلب ابو طربوش من الشعوب ان تعتمد في خلاصها من الشر الاستعماري على رحمة الشعوب في البلدان الاستعمارية فيقول: « على هذا الاساس ان شعب الدولة الرأسمالية ـ او حتى الدولة النيوتونية (كما !!!) المالكة للذرة ـ هو القوة الوحيدة التي بامكانها تغيير النظام القائم ، وتاثير هذا الشعب ... هو الذي سيؤدي مثلا لانسحاب القوات الامريكية من فيتنام وليست التكاليف الباهظة او غيرها . »

ان القضاء على الرأسمالية في اي بلد هو حقا من مسؤوليات شعب ذلك البلد ، ولكن يجب عدم الخلط بين هذا وبين انتصار الثورات في البلدان الواقعة تحت الشر الاستعماري، كما بينا اعلاه ، وبالاضافة الى ذلك ، فان انتصار الحركات الثورية وطرد الاستعمار من البلدان الواقعة تحت استغلالهم ، وتقويض دعائم الامبريالية على النطاق العالمي ، سيمهد السبل امام بروليتاريا الدول الامبريالية للاطاحة بالنظام الرأسمالي وليس العكس ، كما يتصور ابو طربوش . وفي هذا الصدد يقول يوسف ستالين في كتابه « اسس اللينينية » : « ان النضال الثوري للشعوب المضطهدة في المستعمرات والبلدان التابعة ، ضد الامبريالية ، هو الطريق الوحيد لانعتاقها من الاضطهاد والاستغلال . »

ثم يستمر ستالين بالقول : « ان اهم الافكار المستمرة والتابعة قد اخذت فعلا طريق حركة التحرر الوطني ، ولا بد ان يقود ذلك الى الثورة في العالم الرأسمالي . »

اما بخصوص الدولة الاشتراكية (المالكة للذرة وغيرها) فان الشعب ليس ، كما يزعم ابو طربوش ، « هي القوة الوحيدة التي بامكانها تغيير النظام » . ان الشعب في الدولة الاشتراكية هي القوة الوحيدة التي تقف بوجه المؤامرات الاستعمارية ومؤامرات بقايا الطبقات الرجعية وحلفائها الانتهازيين الجدد الساعين الى اعادة تكبيل الشعب بالعبودية الرأسمالية ، ان شعب الدولة الاشتراكية هو الحارس الوحيد القادر على صيانة الثورة ، ولا يمكن ان يكون قوة تسعى الى « تغيير النظام » !!.

ومن المهم ان يستمر النقاش حول « الراي العام العالمي » ، كما اشارت « الهدف » لما في الاهتمام به من تاثير على قضايا حيوية تواجه الثورة الفلسطينية ، والعالم العربي كله . ونامل ان يكون النقاش حول هذا الموضوع في المستقبل نقاشا موضوعيا جديا . ان الاختلافات في الراي شيء طبيعي ، وان الحقيقة تبلور من خلال الحوار والجدل ، شريطة ان يلتزم ذلك الحوار بالصراحة والنزاهة والامانة ، والا فمن السهل ان ينقلب ذلك الحوار الى مسابقة في الحذلقة والسفسطة والمناورات الاعلامية ، وهذه اشياء لا تصلنا بنتيجة منطقية معقولة حول مسالة الاهتمام « بالراي العام العالمي » الذي اصبح مصيبة ابتليت به الامة العربية دون جميع الامم، وذريعة لتنفيذ جميع مؤامرات الخيانة والاستسلام. ولكن عندما تسيل الدماء البريئة في عمان على يد النظام العميل ، وعندما تهان الامة العربية من المحيط الى الخليج على يد حثالات من امثال موشي دايان ، وعندما تتدابح منظمات المقاومة فيما بينها ، وعندما تحرق حثالات الاعداء اطفالنا بقنابل النابالم ، لم يسال احد « شو يقولوا علينا الناس » (وهو جوهر الاهتمام بالراي العام بعد تجريده من التنميق والسفسطة) .